

الزبيري في عدن

١٩٤٤ - ١٩٤٨ م

بمناسبة حلول الذكرى الخامسة عشرة لاستشهاد المناضل اليمني الثائر والشاعر محمد محمود الزبيري الذي استشهد في الحادي والثلاثين من مارس عام ١٩٦٥ ، لابد من كلمة وفاء وعرفان في ذكرى هذا الشاعر الثائر .. وفي اعتقادي ان كثيرين قد كتبوا عن الزبيري ، وعن حياته ، ومواقفه النضالية وعن شعره ونثره .. وعن حياته وكفاحه .. ولست هنا بصدد تكرار ما كتب ، او اعادة ما قيل ، ولكن المناسبة تفرض علينا ان نتذكر ثائرنا ثوارنا ، وشاعرا ضحي بروحه من أجل بلادنا ، من أجل اليمن .

بقلم :
علوي عبدالله طاهر

وانني بهذه المناسبة أحب ان اسلط بعض الضوء على حياة الزبيري في عدن في الاربعينات من هذا القرن ، حينما هرب من حكم الائمة وطفيتهم في سماء الوطن .

وصلت الى عدن في اوائل عام ١٩٤٤ طلائع الثوار اليمنيين ، هربا من ظلم الامام يحيى حميد الدين الذي حكم الشطر الشمالي من الوطن بالحديد والنار ، وحرم الشعب من حريته ، وماله ، وصارت بلاده نهبا للامام وابنائيه واخوانه العائشين على فتات موائدهم .. وصارت املاكه ومزارعه وسائر املاكه تحت تصرف الحاكم المطلق الامام يحيى ورجال حاشيته .

ومع وصول تلك الطلائع الثائرة الى عدن بدأت المحتاجر تصرخ ضد الظلم ، وبدأت الاصوات تتردد انغام العدل ، والحريية ، والدستور ، والكرامة وغيرها من الكلمات التي كان محرما على الانسان اليمني التفوه بها .

وكان على رأس تلك الطلائع الثائرة الشاعر محمد محمود الزبيري .. الذي وصل الى عدن في فبراير عام ١٩٤٤ ، يرافقه الشيخ احمد محمد نعمان .. وكان قد سبقهما الشيخ مطيع دماج .. كما وصل الى عدن كذلك كل من الشاعر زيد الموشكي وحسن ابو رأس ، وغيرهم .

ولم يستطيع المؤتمرين الجاهرة بارائهم خوفا من السلطات البريطانية التي اشترطت عليهم عدم التدخل في الامور السياسية حينما قدموا لاجئين الى عدن .. وقد اسغر ذلك المؤتمر عن تأسيس حزب سمي حينها بحزب الاحرار اليمنيين .

وبعد تأسيس الحزب عقدت جلسة خاصة في عيد الفطر من ذلك العام ، وفيها تبرع عدد من اليمنيين بمبلغ من المال يصل الى ٣٠٠٠٠ روبية لتكون ميزانية للحزب ، غير ان شقاقا حصل بين المجتمعين بسبب كيفية صرف المبلغ .. مما ادى الى عودة بعضهم الى تعز ، واللقاء بولي العهد احمد الذي اغراهم بالوظائف والمرتبات .

ومن حينها دب الخلاف في الحزب ، وقلت موارده ، مما اضطر كلا من الزبيري والنعمان الى العمل في سلك التدريس .

وفي صحيفة فتاة الجزيرة نشر حزب الاحرار اليمنيين بيانهم السياسي ، مطالب حزب الاحرار وارسلت نسخة من تلك المطالب

وقد رحب بهم في عدن اليمنيون جميعا من أبناء الشمال والجنوب .. ووقفوا الى جانبهم ، وساندوهم في قضيتهم ، قضية كل اليمنيين .. فالتقوا بالشعراء والكتاب ، والتجار ، والعمال ، وترددوا على النوادي الاهلية ، واجتمعوا باعضائها ، وزاروا الصحف ، والتقوا بمحرريها ، وافردت لهم الصحف صفحات لعرض قضيتهم .

وفي عدن بدأوا اجتماعاتهم السرية للبحث عن الوسائل الكفيلة للخلاص من حكم الامامة الرجعي البغيض في الشمال ، واخذوا يتدارسون الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكيفية الخلاص من سوء الحال وأشباح الظلم والضرائب التي ترهق كاهل الفلاح ، ويبحثون في الفناء التناقض ، والقضاء على الرشوة .

واصلاح حالة الجيش وزيادة اجور الموظفين ، وغيرها من الامور .

وقد انعقد اول مؤتمر شعبي في مدينة القواهي حضره الزبيري والنعمان ، والشيخ القوسي ، ومحمد حسن ابوراس وزيد الموشكي وغيرهم ، وكان هذا المؤتمر سريرا

«لما صارت احوال اليمن
منحطة الى حد بعيد في امور

الى الامام يحيى بن محمد حميد
الدين ، فأبرق الى احمد نعمان
والزبييري يدعوهما لزيارته في
صنعاء ، للبحث معهما في هذه
المطالب ، ولكنهما لم يستجيبا
لطلبه خوفا من غدره ، واكتفيا
بارسال مذكرة الى الامام يحيى
باسم الجمعية اليمنية الكبرى ،
التي كانت قد تأسست حينذاك
وبدأت في اصدار صحيفتها
(صوت اليمن) .

وكانت لتلك المطالب صداها
في نفوس اليمنيين جميعا . كما
كان لها عظيم الاثر على الامام
يحيى نفسه ، حيث صار يتخبط
فيعلن مرة الغاء الضرائب ، وفرض
(المجاريين) ، ويوما جعل الزكاة
امانة ، وهكذا .

وكانت هجرة اليمنيين من
لادهم تزداد يوما بعد يوم

بسبب جشع الحكام وظلم (المكفة)
حتى خلت القرى من الرجال
واهملت الاراضي الزراعية ، وعم
الفقر وتحولت حقول الحويان الى
الى مستشفيات . وظل ولي العهد
احمد يتنعم ببساتين عصفرة ،
ومسبحها . ينهب اراضي الاهالي
ويحبس من يمتنع عن تحويلها اليه .

وفي عام ١٩٤٦م وصل الى
عدن سيف الاسلام ولي العهد
احمد بن يحيى حميد الدين .
وحاول محاولة يائسة ان يقتنع
الزبييري والنعمان في العودة الى
تعز ، ووعد الناس بالاصلاح ،
وكان كل من النعمان والزبييري
خلال هذه الزيارة التي دامت
حوالي ٤٥ يوما شبه سجين ، تحت
حراسة مشددة خوفا على حياتهما
من البطش .

بعد مغادرة سيف الاسلام
احمد عدن عائدا الى تعز ، وصل
الى عدن سيف الاسلام ابراهيم
هاربا ثم انضم الى الاحرار
والجمعية اليمنية الكبرى ، التي
اختارته رئيسا لها .

وبعد ذلك وضع الاحرار
ميثاقهم الوطني ، الذي كان بمثابة
دستور لنظام الحكم . ومما جاء
في مقدمة هذا الميثاق مايلي :

الدين والاستقلال ، اجتمع ممثلوا
الشعب اليمني على اختلاف طبقاتهم
في هيئة مؤتمر للنظر في وضع
نظام شرعي صالح واقامة من
ينفذه ويحفظ الامن ويضبط مصالح
الامة ، ويقوم بكل واجب ديني
ودنيوي لليمن واهله ، عند وفاة
الامام الحالي فقرر مايلي :

وكان من جراء التفاف اليمنيين
حول الميثاق القضاء على الامام
يحيى بن محمد حميد الدين في
انقلاب ١٧ فبراير ١٩٤٨م الموافق
٧ ربيع الثاني عام ١٩٦٧ هـ .

اشتهر بها الامام يحيى بن حميد
الدين ، حتى صار الغرض المطلوب
من الامامة معدوما في كل ناحية
ولم يبق غير مظاهر خادعة كاذبة
لا تتفق مع موجبات الشرع الشريف
ولا تضمن شيئا من الاصلاح الذي
يوجبه الدين في الحال . ولا
تصون اليمن من اسوأ العواقب في
الاستقبال .

وقياما بالواجب لله تعالى ،
والمسلمين ، وطلبا للسلامة في
الدين والدنيا من العقوبة من الله
سبحانه وتعالى ، ولحفظ شرف